(٢٣٢)

(السيد عبد الرَّحْمَن بن قَاسِم المداني)

قرأ علم الفقه بمدينة ذمار، ثم رحل إلى صنعاء، وأخذ في غيره، فشارك مشاركة ركيكة لغلبة علم الفقه عليه، ثم درَّس في علم الفقه بصنعاء، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة، وأخذت عنه في شرح الأزهار في أوائل أيام طلبي. وكان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا عفيفاً حسن الأخلاق جميل المحاضرة واعياً في الفوائد العلمية بحيث أنه صار عاجزاً لا يمشي إلَّا مُتوكِّئاً على العصا. وكان إذا لقيني قام واعتمد على عصاته ثم باحثني بمباحث فقهية دقيقة. وكنتُ إذ ذاك قد أمعنتُ في طلب علم الفقه على غيره. وكان يحب المجون من دون مجاوزة للحدِّ مع ظرافة زائدة وتواضع كامل. (مات) في شهر ذي القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشرة ومائتين وألف، وأظنه قد قارب التسعين رحمه اللَّه.

(٢٣٣)

(عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن الحَسَن بن مُحمَّد بن جَابر بن مُحمَّد بن إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الرَّحيم وليّ الدين)[1]

الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون. ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو، وتفقه بجماعة من أهل بلده وسمع الحديث هنالك، وقرأ في كثير من الفنون، ومهر في جميع ذلك لا سيّما الأدب وفن الكتابة. ثم توجه في سنة (٧٥٣) إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها. ثم امْتُحن واعْتُقل نحو عامين، ثم ولي كتابة السِّرِّ وكذا النظر في المظالم. ثم دخل الأندلس فقدم غَرْنَاطة في أوائل ربيع الأول سنة (٧٦٤) وتلقَّاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فقام بالأمر الذي ندب إليه. ثم توجّه في سنة (٧٦٦) إلى بجاية ففوّض إليه صاحبها تدبير مملكته مدة، ثم استأذن في الحج فأذن له فقدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة (٧٨٤) فحجَّ ثم عاد إلى

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٤/ ١٤٥؛ الأعلام: ٣/ ٣٣٠؛ شذرات الذهب: ٧/ ٧٦؛ كشف الظنون: ٢٧٨، ٨٣٥؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٢٢٨؛ هدية العارفين: ١/ ٢٥٩؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١٨٩؛ وغيرها.

مصر، فتلقاه أهلها وأكرموه وأكثروا من ملازمته والتودّد إليه، وتصدّر للإقراء في الجامع الأزهر مدةً، ثم قرّره الظاهر بَرْقُوق في قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة (٧٨٦) وفتك بكثير من الموقعين، وصار يُعزّر بالصفع، ويُسمِّيه الزجّ، فإذا غضب على إنسان قال: زجوه، فيصفع حتى تحمرَّ رقبته. وعُزِل ثم أُعيد، وتكرّر له ذلك حتى (مات) قاضياً فجأةً في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٨٠٨ ثمانٍ وثمانمائة، ودُفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. ودخل مع العسكر في أيام انفصاله عن القضاء لقتال تَيْمُور فقدر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوّده. قال بعض من ترجمه: إنه كان في بعض ولاياته يكثر من سماع المطربات، ومعاشرة الأحداث. وقال آخر: كان فصيحاً مفوّهاً جميل الصورة حسن العشرة إذا كان معزولاً، فأمَّا إذا وُلي، فلا يعاشر، بل ينبغي أن لا يُرى. وقال ابن الخطيب: إنه رجل فاضل جمّ الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمة قويّ الجأش متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن العشرة. وأثنى عليه المقريزي. وكان الحافظ أبو الحسن الهيثمي يبالغ في الغضِّ منه، قال الحافظ ابن حَجَر: فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه أنه قال في الحُسَيْن السبط رضي اللَّه عنه: أنه قتل بسيف جدّه، ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبِّه وهو يبكي، قال ابن حَجَر: لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن. وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها قال: والعجب أن صاحبنا المقريزي كان يُفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي. وكان المقريزي ينتمي إلى الفاطميين كما سبق، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم وجهل مراد بن خلدون، فإنه كان لانحرافه عن العلوية يثبت نسبة العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعاء الإلهية كالحاكم، فكأنه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطعن، هكذا حكاه السَّخاوي عن ابن حَجَر، واللَّه أعلم بالحقيقة. وإذا صحَّ صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممن أضله اللَّه على علم. وقد صنّف تاريخاً كبيراً في سبعة مجلدات ضخمة أبان فيها عن فصاحة وبراعة. وكان لا يتزيا بزيّ القضاة بل هو مُستمرٌّ على زيّ بلاده، وله نظم حسن فمنه: [من الكامل]

أَسْرَفْنَ في هَجْري وفي تَعْذيبي ... وأَطَلْنَ مَوْقِفَ عَبْرَتي وَنحيبي[1]

(١) أسرفن: جاوزن الحَدَّ.

وأَبَـيْـنَ يَـوْمَ الـبَـيْـنِ وِقْـفـةَ سَـاعـةٍ لِـوَداعِ مَـشْـغُـوفِ الـفُـؤادِ كَـئـيـبِ[١]

وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوه بلسانه سيف المحاضرة كان يسلك في إقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي[٢]، والفخر الرازي[٣] مع الإنكار على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من التوغل في المشاحّة اللفظية والتسلسل في الحدِّية والرسمية اللتين أثارهما العضد وأتباعه في الحواشي عليه وينهى الناقل غضون إقرائه عن شيء من هذه الكتب مستنداً إلى أن طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفن على خلاف ذلك، وأنَّ اختصار الكتب في كل فنٍّ والتقيد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين والعلم وراء ذلك كله. قال: وله من المؤلفات غير الإنشاءات النثرية والشعرية التي هي كالسحر، التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر. حوت مقدمته جميع العلوم.

(٢٣٤)

(عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد ابن نَهْشَل الحَيْمي الحافظ الكبير العلَّامة الشهير)

كان من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وله اشتغال بالتدريس في الأمهات ونشرها، وبمثل العضد وحواشيه، والمطول وحواشيه، والرضي في النحو وسائر الكتب المفيدة. وقد أخذ عنه الناس واشتهر، ومن جملة تلامذته العلَّامة الحَسَن بن أحمد الجلال، وجماعة أكابر، ومنهم القاضي أحمد بن سَعْد الدين المَسوري، والقاضي أحمد بن صَالح بن أبي الرجال. ولكنه ما سَلِم من الامتحان من أهل عصره لسبب اشتغاله بالأمهات علماً وعملاً وتدريساً، وليس ذلك ببدع، فهذا شأن هذه الديار من قديم الأعصار. ومن مشايخه السيد الحَسَن بن شَمْس الدين وَيَحْيَى بن أحمد الصَّابوني، والحافظ بن علان. وبالجملة فصاحب الترجمة من أكابر

(١) البين: البعد والفراق. المشغوف: الذي شغفه الحُبُّ: وصل إلى شغاف قلبه.

(٢) هو الإمام، زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي: فيلسوف، متصوّف، فقيه، مُصنّف. توفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢م. من آثاره: «تهافت الفلاسفة»، و«إحياء علوم الدين»، و«المنقذ من الضلال»، وغيرها. (وفيات الأعيان: ٤/ ٢١٨؛ شذرات الذهب: ٤/ ١١).

(٣) هو أبو عبداللَّه، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، الرازي: إمام مُفسِّر، مُتبحِّرٌ في علوم الأوائل. توفي سنة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. من آثاره: «مفاتيح الغيب»، «مناقب الإمام الشافعي»، و«شرح أسماء اللَّه الحسنى»، وغيرها. (الأعلام: ٦/ ٣١٣).